نماذج من الطرق الصوفية

الطريقة القادرية وتسمى الجيلانية: أسسها عبدالقادر الجيلاني المتوفى سنة 561هـ،يزعم أتباعه انه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الله تعالى من معرفة الغيب ، وإحياء الموتى وتصرفه في الكون حيا أو ميتا، بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال التي منها: من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن نادني في شدة فرجت عنه ومن توسل بي في حاجة قضيت له.

الطريقة الرفاعية: تنسب إلى ابي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي ويطق عليها البطائحية نسبة إلى مكان ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق، وجماعته يستخدمون السيوف ودخول النيران في اثبات الكرامات. قال عنهم الشيخ الألوسي "وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة الا ومنهم مصدرها وعنهم موردها فذكرهم عبارة عن رقص وغناء وعبادة مشايخهم".

البدوية: وتنسب إلى احمد البدوي 634هـ ولد بفاس، حج ورحل إلى العراق، واستقر في طنطا حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود، حيث يقام له كغيره من أولياء الصوفية احتفال بمولده سنويا يمارس فيه الكثير من البدع والانحرافات العقدية من دعاء واستغاثة وتبرك وتوسل ما يؤدي إلى الشرك المخرج من الملة، وأتباع طريقته منتشرون في بعض محافظات مصر،ولهم فيها فروع كالبيومية والشناوية وأولاد نوح والشعبية وشارتهم العمامة الحمراء.

الطريقة الدسوقية: تنسب إلى إبراهيم الدسوقي 676هـ المدفون بمدينة دسوق في مصر، يدعي المتصوفة أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع إليهم تدبير الأمور في هذا الكون.

الطريقة الأكبرية: نسبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر 638هـ، وتقوم طريقته على عقيدة وحدة الوجود والصمت والعزلة والجوع والسهر، ولها ثلاث صفات: الصبر على البلاء، والشكر على الرخاء، والرضا بالقضاء.

الطريقة الشاذلية: وهي طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية وان كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد

أو السالك وطرق تربيته، إضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرا "هـ" ، ويفضلون اكتساب العلوم عن طريق الذوق وهو تلقي الأرواح للاسرار الطاهرة في الكرامات وخوارق العادات، كذلك معرفة الله تعالى معرفة يقينية ولا يحصل ذلك إلا عن طريق الذوق أو الكشف. كما ان من معتقداتهم السماع وهو سماع الأناشيد والاشعار التي قد تصل إلى درجة الكفر والشرك كرفع الرسول إلى مرتبة ليست موجودة في الكتاب والسنة.

الطريقة البكداشية: كان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة، وهي لا تزال منتشرة في ألبانيا، كما أنها اقرب إلى التصوف الشيعي، وكان لهذه الطريقة اثر بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول.

الطريقة المولوية: أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي 672هـ والمدفون بقونية، أصحابها يتميزون بادخال الرقص والايقاعات في حلقات الذكر وقد انتشروا في تركيا وغرب آسيا، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وحلب وفي بعض اقطار المشرق.

الطريقة النقشبندية: تنسب الى الشيخ بهاء الدين محمد بن البخاري الملقب بشاه نقشبند 791هـ وهي طريقة تشبه الطريقة الشاذلية انتشرت في فارس وبلاد الهند.

الطريقة الملامتية: مؤسسها ابوصالح حمدون بن عمار المعروف بالقصار 271هـ اباح بعضهم مخالفة النفس بغية جهادها ومحاربة نقائصها، وقد اظهر الغلاة منهم في تركيا حديثا بمظهر الإباحية والاستهتار وفعل كل أمر دون مراعاة للأوامر والنواهي الشرعية.

الطريقة التيجانية: طريقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بامكانية مقابلة النبي مقابلة مادية واللقاء به لقاء حسيا في هذه الدنيا، وان الرسول قد خصهم بصلاة "الفاتح" التي تحتل لديهم مكانة عظيمة ـ وكنا قد عرضنا لهذه الصلاة أعلى الصفحة ـ هذه الطريقة أسسها أبو العباس احمد التيجاني 1230هـ ، الذي ولد بالجزائر ويدعي انه التقى النبي لقاء حسيا ماديا وانه تعلم منه صلاة الفاتح وأنها تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة. ويلاحظ على أصحاب هذه الطريقة شدة تهويلهم للأمور الصغيرة وتصغيرهم للأمور العظيمة على حسب هواهم ما أدى إلى أن يفشو التكاسل بينهم لما شاع بينهم من الأجر العظيم على اقل عمل يقومون به، ويرون أن لهم خصوصيات ترفعهم عن مقام الناس الآخرين من أهمها: ان تخفف

عنهم سكرات الموت وان الله يظلهم في ظل عرشه وان لهم برزخا يستظلون به وحدهم. وأهل هذه الطريقة كباقي الطرق الصوفية يجيزون التوسل بذات النبي، وقد بدأت هذه الطريقة في مدينة فاس وصار لها أتباع في السنغال ونيجيريا وشمال افريقيا ومصر والسودان.

الطريقة الختمية: وهي طريقة صوفية تلتقي مع الطرق الصوفية الاخرى في كثير من المعتقدات مثل الغلو في شخص رسول الله وادعاء لقياه واخذ تعاليمهم واورادهم واذكارهم التي تميزوا بها، عنه مباشرة، هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعي واخذهم من ادب الشيعة وجدالهم. وقد أسس هذه الطريقة محمد عثمان الميرغني ويلقب بالختم اشارة الى انه خاتم الاولياء، ومنه اشتق اسم الطريقة الختمية، كما تسمى الطريقة الميرغنية ربطا لها بطريقة جد المؤسس عبد الله الميرغني المحجوب.. وقد بدأت هذه الطريقة من مكة والطائف وارست لها قواعد في جنوب وغرب الجزيرة العربية، كما عبرت إلى السودان ومصر، وتتركز قوة الطريقة من حيث الاتباع والنفوذ الآن في السودان.. وعلى هذا فان الطريقة الختمية طائفة صوفية تتمسك بمعتقدات الصوفية وأفكارهم وفلسفاتهم حيث تبنوا فكرة وحدة الوجود التي نادى بها ابن عربي وقالوا بفكرة النور المحمدي، واستخدموا مصطلحات الوحدة والتجلي والانبجاس والظهور والفيض وغيرها من المصطلحات الفلسفية الصوفية، واسبغوا على الرسول من الأوصاف ما لا ينبغي ان يكون إلا لله تعالى، ويدعي مؤسس الطريقة بأنه خاتم الأولياء وان مكانته تأتي بعد الرسول، والطريقة الختمية تهتم بإقامة الاحتفالات الخاصة باحياء ذكر مولد النبي وإقامة ليالي الذكر أو الحولية.

الطريقة البريلوية: وهي فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي بالهند أيام الاستعمار البريطاني وقد اشتهرت بمحبة وتقديس الأنبياء والأولياء بعامة، والنبي بخاصة. مؤسس هذه الطريقة هو احمد رضا خان 340هـ ولقد سمى نفسه عبد المصطفى!، ويعتقد أبناء هذه الطائفة بان الرسول لديه القدرة التي يتحكم بها في الكون، ولقد غالوا في نظرتهم إلى النبي حتى أوصلوه إلى قريب من مرتبة الألوهية، يقول احمد رضا خان "اي يا محمد لا استطيع ان أقول لك الله، ولا استطيع ان افرق بينكما، فأمرك إلى الله هو اعلم بحقيقتك" كما ان هذه الطائفة لديها عقيدة الشهود حيث ان النبي

في نظرهم حاضر وناظر لأفعال العباد في كل زمان ومكاناً كما أنهم يشيدون القبور ويعمرونها ويتبركون بها، ويؤمنون بالإسقاط وهي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من صلاة أو صيام أو سائر العبادات وهي مقدار صدقة الفطر. وأعظم أعيادهم هو ذكرى المولد النبوي. وهم يكفرون المسلمين لأدنى سبب مثل الرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب.

الاستعمار الفرنسي والطرقية

كان للاستعمار الفرنسي بالجزائر دورا كبيرا في إحياء الطرقية وتشجيعها من خلال تشجيع إقامة المراسيم والطقوس العقائدية الخاصة بكل طريقة .

تاريخيا، كانت الاحتفالات تقام في أمكنة وأزمنة اكتسبت مع الوقت قدسية خاصة تصاحبها مجموعة من الشعائر والطقوس تصل إلى حد الاعتقاد الخاطئ بها. وحسب دراسات اجتماعية فان هذه الاحتفالات و'الوعدات 'عرفت تطورا ملحوظا إبان فترة الاستعمار، وهي تقوم أساسا على فكرة التسليم والخضوع لقوى ميتافيزقية تنسب إليها الخير والشر. ووفق هذه التصورات تشكلت البنية الذهنية والسلوكية للمريدين وما يعرفون "بخدام الأضرحة".

يقول احمد رضا خان "اي يا محمد لا استطيع أن أقول لك الله، ولا استطيع أن افرق بينكما، فامرك إلى الله هو اعلم بحقيقتك" كما ان هذه الطائفة لديها عقيدة الشهود

تحول الدين الذي يحث أتباعه على الأخذ بالأسباب والتحرك نحو التغيير إلى طقوس تثير حالة من السكون في الإنسان والانجذاب نحو الطوطم سواء كان إنسانا أو حيوانا أو شيئا، منزوع الإرادة والقدرة ولا خيار أمامه إلا الخضوع والإذلال لأمر الواقع.

لقد ابتليت الشعوب في العالم الإسلامي ومنها الجزائر في ذلك الوقت بهذه الظواهر المتخلفة حتى أصبح الاستعمار في نظرهم قضاء وقدرا محتوما. يشير محمد اقبال إلى رسوخ هذا الفكر السلبي البعيد عن صميم العقيدة الإسلامية الصحيحة في ذهن المسلم حتى غدت هذه الأنماط من التفكير عقبة في طريق التحرير ومقاومة الاستعمار، وعلى هذا الصعيد ناضل اقبال ليثبت ويبرهن ان المؤمن في ذاته هو قضاء الله وقدره المحتوم يقول متمثلا " سألني ربي: هل ناسبك هذا العصر- وانسجم مع عقيدتك

ورسالتك ؟ قلت: لا يا ربي، قال: فحطمه ولا تبالي". إن القرآن الذي انـزل عـلى النبـي الكريم ليشق لنا دروب الحياة ويعلمنا كيف نحيا وكيف نختار الحياة التي نريـد أضـحى عند الطرقيين وممن ينتسبون زورا وبهتانا إلى التصوف مصدرا للاستسلام والموت، يقول اقبال" انك ايها المسلم لا تزال اسيرا للمتزعمين للدين، والمحتكرين للعلم، ولا تسـتمد حياتك من حكمة القرآن رأسا، إن الكتاب الذي هو مصـدر حياتـك ومنبـع قوتـك، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة، فتقرأ عليك سورة 'يس' لتموت بسهولة، فواعجبا قد أصبح الكتاب الذي انزل ليمنحك الحياة والقوة يتلى الآن لتموت براحة وسهولة".

تفطن المستعمر الفرنسي- إلى أهميـة هـذه الأفكـار وأدرك ضرورة توظيفهـا في مشروعه الاستيطاني، حيث اسـتخدمها في التشـويش عـلى الثـورة في الجزائـر وكسـب الوقت والضغط على رجال الإصلاح كما هو الحال مع أعضـاء جمعيـة العلـماء المسـلمين الجزائريين حتى أطلقوا عليهم استهجانا "البادسيين" نسبة للشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس الذي كرس كامل جهده وأصحابه معه في محاربة هذا الفكـر الراكـد. لقـد مـدت الإدارة الاستعمارية كل العون والتقدير للطرقيين وشدت على أيديهم، فكانت تشـاركهم في توفير شروط الأمن والسلامة لزوار ومريدي الأضرحة سنويا ولا يـدفع المتنقلـون في القطارات إلا نصف التسعيرة وذكر في هـذا الصـدد المـؤرخ الفرنسي- اميـل دارمـنغهم Dermenghem Emile 1945)) ان ضريح الولي سيدي عابد كان يـزوره سـنويا مـن 80 إلى 100 ألف زائر من الجزائر العاصمة ووهران ومناطق أخرى ويتم الاحتفال تحت حراسة الدرك والامن الفرنسيين المجندين خصيصا لهذه الوعدات لا يحتاج الانسـان الى كثير من الجهد ليكتشف مساحة التقاطع بين السلطة المعنوية/ الروحيـة للطـرقيين وبـين السلطة السياسية/ العسكرية للفرنسيين، الأمر الذي افرز نوعا من التعاون كانت نتيجته محافظة فرنسا على المركز الروحي للأمكنة التي يشرف عليها مشايخ الطرقية وذللت لهـم الصعوبات للتغلغل بين أبناء الشعب الفقراء كما ساهمت في الانتشار المذهل للزوايا.

و التي بلغ عددها حوالي 349 زاوية آنذاك. ومـن جهـة أخـرى قامـت الإدارة الاستعمارية بغلق مؤسسات ومدارس جمعية العلماء المسلمين ومطاردة علماءها والتضييق عليهم، لتفسح المجال أمام الخط الذي يمثل التدين الشعبي المغشـوش ليخـدر الشـعب ويغذي مخياله الجماعي بالأساطير والخرافات التي تجعله في النهاية يعيش الأوهام ويطلب

المحال وتنزع منه كل أنماط التفكير الناقد والسببي الذي يثير التساؤلات والشكوك.

من هذا المدخل حاول الاستعمار تقديم التدين الخرافي كبديل عن الإسلام السياسي الثوري، بحكم أن الأول مبني على الحكاية والأسطورة وتغذية الخرافات وجعل أتباعه عاجزين عن مواجهة الواقع واستيعاب مشكلاته وهو ما يوصل إلى الإذلال والاستعباد. بينما الثاني فهو قائم على فكرة واعية، ناقدة، ثورية ، المؤمن فيه لا يجاري الأوضاع بل هو مكلف بتغييرها، وهو على جاهزية تامة للتضحية من اجله. لقد اختار الاصلاحيون زمن الاحتلال هذا النهج وسعوا إلى نشره في أرجاء الوطن . فالكتب والرسائل التي الفوها هي تعبير عن طبيعة الصراع القائم مع الفكر الطرقي آنذاك، وتعتبركتابات الشيخ عبد الحميد بن باديس مثالا على ذلك حيث تركزت على تصحيح العقيدة وكشف الزيغ والتشويه الذي تنشره الطرق المنحرفة ، اضافة الى كتابات اخرى للشيخ البشير الابراهيمي والمبارك الميلي " الشرك ومظاهره" ولعبد الرحمن المجاوي (ت1912)" اللمع في انكار البدع" وكتاب "اداب الطريق في التصوف" لإبن الموهوب(ت 1939)الذي حمل فيه على البدع والطرقية ولابو يعلي الزواوي (ت1952) "الاسلام الصحيح".

من هذا المدخل حاول الاستعمار تقديم التدين الخرافي كبديل عن الإسلام السياسي الثوري، بحكم أن الأول مبني على الحكاية والأسطورة وتغذية الخرافات وجعل أتباعه عاجزين عن مواجهة الواقع واستيعاب مشكلاته وهو ما يوصل إلى الإذلال والاستعباد. بينما الثاني فهو قائم على فكرة واعية، ناقدة، ثورية

ويمكن إحصاء الكثير من الكتب والرسائل التي الفت لبيان دعاوي الطرقية وفساد عقيدتها وخطورتها على مستقبل الأمة ، وقد تحمل رجال الإصلاح في سبيل ذلك كل الضغوط والاكراهات حيث وصلت إلى حد الاغتيالات والنفي.

لقدكان الاستعمار يرى في هذا التدين الخرافي سبيلا الى تحطيم العقيدة الصحيحة وتوجيه الشعب الوجهة التي يريدها بتشجيعه الثقافة السلبية والتصورات الفاسدة التي علقت 'بإنسان ما بعد الموحدين'، مستغلا الجهل المطبق وسرعة إرتباط الناس بالاوهام

والخرافات. ولم تكن الأمية حصريا على العامة فقط بل حتى شيوخ الطرقية وروادها كانوا يحملون ويبشرون بالقيم الفاسدة والتدين المغشوش فهاهو احمد توفيق المدني يتساءل في مذاكراته عن ابن عليوة(ت1934) المشهور بالعلوي المستغانمي -وهو المعروف بعدائه الصريح للحركة الإصلاحية- بقوله:" لا ازال في حيرة من امره ولن ازال، كيف يمكن من انشاء طريقة صوفية وهو شبه امي؟ وكيف كان له سلطان على الناس وهو لايكاد يبين ؟ .

لقد تظافرت السلطتان الإستعمارية والروحية من اجل تخدير الشعب وتركه يموج من بحر من الخرافات أساسها تقديس الأشخاص، وسيستمر هذا التقديس إلى مرحلة ما بعد الإستقلال اين نرى استعمال المواطنين لمفردة ' سيدي الرايس' بنفس المضمون الروحي والرنين القدسي المهيب الذي كان يستعمله المواطن البسيط عند لقاء شيخه او زيارة ضريح ولي فيبدأ طلبه وتضرعه بقوله 'سيدي فلان..'.

وبعد الاستقلال قام الشعب الجزائري بالنبذ الكلي للطرقية وأهلها إلا من رحم ربك من الكتاتيب والزوايا التي بقيت محافظة على أصالتها ودورها الريادي والحضاري

هذا هو واقع الطرقية أبان الاستعمار الفرنسي- للجزائر وبعد الاستقلال قام الشعب الجزائري بالنبذ الكلي للطرقية وأهلها إلا من رحم ربك من الكتاتيب والزوايا التي بقيت محافظة على أصالتها ودورها الريادي والحضاري في تلقين علوم الدين وتحفيظ القرآن الكريم والمحافظة على الانتماء الإسلامي للأمة الجزائرية ولا أريد أن يفهم من كلامي التحامل على الشخصيات الروحية كالمتصوفين الكبار ولا عن المدارس والكتاتيب وبعض الزوايا التي أدت دورها في المقاومة وعبر ترسيخ كتاب الله تعالى في صدور أبناء الجزائريين داخل القرى والمداشر.

كما أن المتصوفين وهم نخبة الأولياء والصالحين يمثلون نجوما ناصعة في تاريخ الحضارة الإسلامية والإنسانية عامة. فأمثال أبي حامد الغزالي وابن زروق والقشيري

والجنيد وجلال الدين الرومي والسهروردي وغيرهم الكثير كانت لهم المواقف البطولية في حياتهم وقد أدىٰ بعضهم دور المعارضة الصادقة لنظام الجور والظلم في زمنهم. كما تركوا للإنسانية ذخائر من مختلف المعارف وفنون العلم والبيان والحكم المتعالية ، لا تزال إلىٰ اليوم تدرس وتروي ظمأ الروح التي أفسدتها حضارة المادة.

في الواقع إن الدين الذي يمثل الخلاص للشرائح الاجتماعية الأقل حظوة هو نفسه الدين الذي تلبسه الفئة الحاكمة لإضفاء الشرعية والمحافظة علىٰ مركزها الاجتماعي حسب نظرية ماكس فيبر. وبهذا الأسلوب يراد للطقوس والخرافات في الجزائر أن تتحول من كونها حكايات تروىٰ إلىٰ هوية تشكل الجيل الجديد من الجزائريين.

لكن ماذا عن هوية قائمة علىٰ الزيف والضلال ؟ إن محاولة بعث الخرافات والطرقية من جديد إنما هو علامة علىٰ التقهقر وعودة إلىٰ ما قبل 1930 سنة تأسيس الحركة الإصلاحية. وأن الاستقلال الحقيقي ليس هو التحرر من الاستعمار فحسب، بل يمتد إلىٰ التحرر من كل أعراض الظاهرة الاستعمارية.

جزائر ما بعد الاستقلال

لقد من الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ الجزائر بنعمة الاستقلال بفضل تضحيات أبنائها من رجال ونساء وحتىٰ الشيوخ والأطفال فضربوا للعالم بأسره أروع أمثلة البطولة والشجاعة والتفاني والتضحية ومن هذا المنطلق اكتسبت السلطة الحاكمة آنذاك في الجزائر شرعيتها من الشرعية الثورية فبرزت إلىٰ الوجود ما يعرف بالأسرة الثورية من مجاهدين وأبناء شهداء التي سيرت دواليب الحكم غير أن الأمور بدأت تنحرف علىٰ ما رسمت له خاصة بعد وفاة الرئيس الراحل هواري بومدين وظهور بوادر نظام عالمي جديد فما كان من السلطة آنذاك إلا تكميم الأفواه واحتكار السلطة والانطواء علىٰ الذات وخنق جميع منافذ الإبداع والتحرر الفكري وتعطيل إبداعات الفرد وتبجيل مفهوم الدولة علىٰ الفرد والتحزب الضيق مما أدىٰ إلىٰ ظهور العديد من الافات الاجتماعية من أهما الرشوة الجهوية المحسوبية وعدم التوزيع العادل للثروة وأموال الشعب تبديد المال العام وقد أدىٰ هذا الأسلوب إلىٰ انسداد خطير في العلاقة بين الحاكم والمحكوم والىٰ انعدام الثقة بين المواطن وأجهزة الدولة فكانت الاحتجاجات والمظاهرات والتخريب والحرق.

بعدها حاول ما يعرف بالتيار الديمقراطي أن يضع نفسه في خانة البديل الأجدر بالحكم وتبني مفاهيم الديمقراطية والتعددية الإعلامية والحزبية والنقابية وهي كانت تعابير على المودا في ذلك الوقت الهدف منه هو بناء مجتمع ديمقراطي لكن بناء مجتمع ديمقراطي في رأي الكثير من المتتبعين والعارفيين هو مرادف لمجتمع لائكي يجب أن يمر أولا على تهديم كل ماله علاقة بالدين والتدين من قوانين وأحكام وعادات وتقاليد وشريعة وخير مثال على ذلك هو التغيير الكبير في قانون الأسرة، التغلغل إلى سدة الحكم من خلال تعيين إطارات لها اتجاه لائكي في المناصب الحساسة من الحكم أي في مواقع الحل والربط أ ومواقع التأثير والتغيير وهذا بعد أن فشلت هذه القوى في استنهاض الشارع أو تحريكه فعمدت إلى نشر أفكارها من الفوق هذا بعد أن خسرت معركة الشارع وفي خضم الصراع بين هذا التيار وذاك سقطت الجزائر في بوتقة ما يعرف بالإرهاب الأعمى الذي أتى على الأخضر واليابس ولم يترك أي مجال للنقاش أو الحوار والتحاور فكان الغلو في كل شيء في الوصول إلى الحكم وفي التشبث بالحكم وطرح البدائل وإيجاد الحلول فكان هدم الذات والتمزق والاستئصال والحلول الأمنية والعسكرية فاستبيحت الأعراض والأموال والأنفس والحرمات وخربت البلاد فضاع الحق وأصحابه وتاهت الجزائر مدة أكثر من عشر سنوات

لكن بناء مجتمع ديمقراطي في رأي الكثير من المتتبعين والعارفيين هو مرادف لمجتمع لائكي يجب أن يمر أولا على تهديم كل ماله علاقة بالدين والتدين من قوانين وأحكام وعادات وتقاليد وشريعة

والشهادة لله إن مجيء الرئيس بوتفليقة إلى سدة الحكم قد ساعد كثيرا في رأب الصدع ولم الشمل وحقن الدماء ونبذ البغضاء والتشاحن والحقد والكراهية وعودة الاستقرار من جديد والخروج من دائرة هدم الذات إلى دائرة بناء الذات فبدأت مسيرة البحث عن الهوية الضائعة وإعادة بناء الشخصية الجزائرية من جديد فكان الإشكال الجديد أي هوية سوف نبني الهوية التي تعتمد على الشوفينية والتعلق بمبادئ أكل عليها الدهر وشرب أم الهوية الديمقراطية التي تعتمد على الانسلاخ الكلي من الانتماء العربي

والإسلامي للجزائر والاعتماد على الهوية الامازيغية والمتوسطية والانصهار والذوبان في العولمة الثقافية والعقائدية الجديدة أم الاعتدالية والوسطية التي تعطي لكل الانتماءات حقها ولكل الاتجاهات حقها وتضمن للأفراد والجماعات حقوقها السياسية والاجتماعية وتحترم خصوصيتها الثقافية . والسؤال الجوهري الذي نصل إليه الآن هو من يمثل حقيقة هذا التوجه في الجزائر، السلطة أم أن هناك قوى أخرى وإذا كانت السلطة في الجزائر تدعو إلى الوسطية والاعتدال لماذا تقف في وجهة حركة الإخوان المسلمين الذين تمثلهم حركة مجتمع السلم وهل معنى مشاركة حركة مجتمع السلم في السلطة هو عبارة عن محاولة أخرى لتهجين التيار الاخواني مثلما تم تهجين كل من حركة الإصلاح الوطني وحركة النهضة اللتان غرقتا في صراعاتهما الداخلية وحمى الانشقاق وتمرد المناضلين فلم يعد لهما صوت يسمع ولا رأي يؤخذ به وإذا كانت فعلا السلطة تتبنى الاعتدال وتتبنى المشروع الإسلامي فلماذا إذن التوجه نحو الطرقية وتشجيعها وتزويدها بالأموال أليس هذا مسعى لايجاد بديل آخر أليس هذا هو نفس الهدف عندما أوعزت السلطة لايجاد بديل لجبهة التحرير الوطني بتكوين حزب التجمع الوطني الديمقراطي الذي أمتص الكثير من كوادر جبهة التحرير حيث كان مدة من الزمن في دواليب الحكم استعملته السلطة لإسكات بعض الأصوات هنا وهناك المطالبة برحيل الحزب العتيد لكن ما هو ملاحظ أن هذه البدائل تكون دائما إلى جانب السلطة أي أن هذه البدائل تدور دائما في فلك السلطة تلجأ إليها في كل مرة تكون فيها تحت الضغط وذلك بإعادة تكييف نفسها تحت تسميات مختلفة .

إن الضغط الذي تواجهه الآن السلطة في الجزائر يتمثل في ثلاثة محاور

الأول : التيار الإسلامي المعتدل الذي بدأ يأخذ مكانه في المجتمع الجزائري ويطالب بالمزيد من المشاركة في الحكم .

الثاني : التيار الديمقراطي الذي يحاول أن يعيد هيكلة نفسه وتحصينها بفضل اختراقه للمنظومة الاجتماعية والثقافية والتعليمية والعزف على وتر البعد الامازيغي للجزائر

الثالث : وهو تيار مافيا المال والأعمال والذي كشفت محاكمة الخليفة التي جرت وقائعها بولاية البليدة عن الكثير من خباياه وتورط الكثير من الساسة والمسؤولين السامين في الدولة والذي يهمهم الآن بقاء السلطة على شكلها الأول لتوفير الغطاء والحماية لهم وعدم انكشاف أمرهم.

إذن ومن خلال ما تقدم فان تشجيع السلطة للزوايا يرمي بالدرجة الأولى إلى إيجاد حماية كافية لها أو ربما إيجاد نوعية جديدة من الشرعية لبقائها في سدة الحكم وهي في نفس الوقت تضرب أعداءها من الإسلاميين والمتطرفين الامازيغ باللعب في عقر دارهم وباستعمال نفس الوسائل ونفس التسميات ويبدو أن الخاسر الكبير هم أصحاب الاتجاه الديمقراطي اللائكي الذين لن يبقى لهم الشيء الكثير للمراهنة عليه أما أصحاب المال والنفوذ فهم حتما ينتظرون ما ستؤول إليه مجريات محاكمة القرن للتموقع من جديد غير أن المثير حقا في هذه الموضوع هو الخلاف الذي ظهر فجأة بين الجزائر والمغرب حول أحقية تواجد مقر الخلافة التيجانية على أرض كل واحدة منها لتتوجه الأنظار إلى معطيات أخرى مغايرة تماما تأخذ البعد الإفريقي بعين الاعتبار.

فان تشجيع السلطة للزوايا يرمي بالدرجة الأولى إلى إيجاد حماية كافية لها أو ربما إيجاد نوعية جديدة من الشرعية لبقائها في سدة الحكم وهي في نفس الوقت تضرب أعداءها من الإسلاميين والمتطرفين الامازيغ باللعب في عقر دارهم

الخلاف حول المقر العام للخلافة التيجانية

مكمن الخلاف بين الجزائر والمغرب حول هذه النقطة هو على خلفية الصراع بين المغرب وجبهة البوليزاريو وموقف الجزائر الداعم للقضية الصحراوية حيث ان المغرب ترى في لم الجزائر لشمل الأفارقة مدخلا آخر لحشد الأصوات والدول ضدها في قضية الصحراء الغربية كما يرى المغرب أن هذه النقطة هي ورقة ضغط أخرى تمارسها الجزائر ضدها لكسب الأفارقة إلى جانب الصحراء الغربية بالنظر إلى الحجم الكبير الذي تحظى بها الطريقة التيجانية لدى الأفارقة خاصة في السنغال والسودان

كان غياب الوفد المغربي الذي تلقى دعوة رسمية لحضور الملتقى قد أثار استفهامات عديدة لدى الحاضرين عن خلفية هذا الموقف وقد كان مسؤولا بلجنة التنظيم رفض الإفصاح عن هويته قد أعلن لموقع العربية. نت أن الجزائر وبغرض ضمان

مشاركة الوفد المغربي أسقط حضور الوفد الصحراوي من قائمة المدعوين لكن ذلك لم يشفع لها في كسب رضى القصر الملكي في الرباط والشئ الذي كان لافتا للانتباه أيضا في الملتقى هو المشاركة القوية للوفد السينيغالي الذي شارك ب31 شخصية ومعروف أن السينيغال لديها كلمة مسموعة ونافذة لدى التيجانيين في كل أنحاء العالم وليس في إفريقيا فقط إلى جانب الوفد السوداني

ظاهر الصراع بين الجزائر والمغرب هو مكان تواجد الخلافة فالجزائر ترى أن سيدي أحمد التيجاني مولود في عين ماضي بالجزائر فهي بالتالي الأحق في احتضان مقر الخلافة في حين أن المغرب ترى أن سيدي أحمد التيجاني مدفون بأراضيها فهي الأحق بأن تكون مقر الخلافة لديها لكن الحقيقة هي أن الذي يسطر على الطريقة التيجانية يكون قد سيطر على أفريقيا كلها ويبدو أن الجزائر هي السباقة لهذا الاكتشاف حيث أن المغرب كانت استفاقته متأخرة نوعا ما فالطريقة التيجانية هي بوابة إفريقيا الجديدة وهي الورقة الرابحة في العلاقات الإفريقية إذ تعطي لصاحبها حق الامتياز في كثير من الأمور وحق الحل والربط في الشؤون الإفريقية .

إذن فورقة الطرقية هي أكبر بكثير مما يتصوره البعض وهو استعمال مقنع للدين من أجل البقاء في الحكم ومن أجل ربح بعض الأدوار السياسية على الساحة الداخلية والإقليمية وهو مجرد توزيع جديد للأدوار وموازين القوى ولعل الأمور لا تزال في بدايتها وسوف تكشف لنا الأيام القادمة عن أي منحى ستنحوه هذه القضية الجديدة وهي تموقع الإخوان التيجانيين على الخريطة السياسية الجزائرية والإفريقية .